تمهيد

تختلف الروايات حول أصل الأتراك العثمانيين ، وإن كان العديد من المؤرخين يرجع نسبهم إلى إحدى قبائل "غز الخزر" وهى قبيلة "قابى خان[1]" التى كان يتولى أمورها سليمان شاه وكان موطنها الأصلى أواسط آسيا ثم نزحت تحت الضغط المغولى صوب آسيا الصغرى والأناضول فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى . وخلال ذلك توفى "سليمان شاه" ، وتولى ادارة هذه القبيلة ابنه "أرطغرل" . وفى أثناء تنقل هذه القبيلة بحثاعن المأوى ومصادر العيش شاهدت جيشين يقتتلان ، وأدركت ان أحد هذين الجيشين ليس ندا للآخر فانضمت القبيلة إلى جانب الجيش الضعيف الذى كاد يلقى هزيمة مروعة – من جانب باب النجدة – وكان انضمامها إليه سببا فى انتصاره . وبعد المعركة تبين أن هذه القبيلة تدخلت لنصرة بنى جلدتها وهم الأتراك السلاجقة الذين كانوا يحاربون تحت قيادة سلطانهم علاء الدين ، وأنهم كانوا يحاربون إحدى الفرق المغولية التى أوكل إليها استكمال فتح آسيا الصغرى[2] . ونتيجة لذلك استجاب السلطان علاء الدين لطلب "أرطغرل" بأن يمنح قبيلته مكانا تستطيع العيش والاستقرار فيه[3] ، فأمر باقطاعه عدة أقاليم ومدنا ، وصار يعتمد عليه فى حروبه . وكان يقطعه أراضى جديدة عقب كل انتصار يتمكن من تحقيقه ويمنحه أموالا جزيلة . يضاف إلى ذلك أنه لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما فى مقدمة جيوشه . وظل "أرطغرل" فى خدمة السلطان علاء الدين إلى أن توفى فى عام ٦٨٧هـ الموافق ١٢٨٨م فعين علاء الدين أكبر أولاد أرطغرل مكانه وهو عثمان مؤسس الدولة العثمانية[4] .

---

١ – عبد السلام فهمى : السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١ ص ١١ .

٢ – عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٣٣–٣٤ .

٣– Edward , S. Creasy : History of the ottoman Turks , Beirut, 1968 , P. 2-4 .

٤– محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية – تحقيق إحسان حقى ، بيروت ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ/١٩٨١م ص ١١٥–١١٦ .

وقد نهج عثمان نهج والده فى الجهاد حيث استولى على قلعة "توجه حصار" التى كانت تابعة للروم وذلك فى عام ١٢٨٩م ، وقد كافأه السلطان علاء الدين على ذلك بأن سمح له بضرب "السكة" باسمه ، وأمر بأن يذكر اسم عثمان بجانب اسمه فى خطبة الجمعة ، ومنحه كل الأراضى التى تم له فتحها ، وكذلك الأراضى التى سيتمكن من فتحها بعد ذلك مما تسبب فى ذيوع صيت عثمان . ولعل السبب الذى دفع السلطان علاء الدين إلى ذلك هو أنه أراد أن يجعل من عثمان وقبيلته قوة للدولة السلجوقية التى بدأ الضعف يتسرب إليها .

وبعد سقوط دولة سلاجقة الروم على يد المغول فى عام ٦٩٩هـ ، ووفاة السلطان علاء الدين انفتح المجال أمام "عثمان بن أرطغرل" الذى استقل بما تحت يده من بلاد ، واتخذ من مدينة "ينى شهر" عاصمة له ودعا نفسه "باد شاه عثمان(١)" أى سلطان العثمانيين.

وهكذا بدأت الدولة العثمانية على يديه ، واعتنق العثمانيون فى عهده الإسلام ، وأصبح عقيدتهم الدينية الرسمية ، وبعد وفاة عثمان فى عام ١٣٢٦م واصل ابنه أورخان، ومن جاء بعده السير على سياسته ، واستطاع العثمانيون أن يملأوا التاريخ أحداثا ، ومرت عليهم مظاهر عديدة من الحضارات ، وأصبحت امبراطوريتهم مترامية الأطراف حيث امتدت أقاليمها وولاياتها فى آسيا ، وأوربا وافريقية ، وأصبحت أكبر دولة إسلامية يشهدها التاريخ فكانت حدودها تمتد شمالا إلى بلاد المجر فى أوربا وتشمل أراضيها كلا من بلاد اليونان والبوسنة والهرسك والجبل الأسود وألبانيا وبلغاريا والمجر والبغدان ، وتمتد شرقا من حدود ولاية جورجيا إلى حدود داغستان وما يلى ذلك من الشرق والجنوب والغرب أرمنيا والأناضول وما بين النهرين وبلاد العرب وسورية ومصر والسودان وبرقة وطرابلس وتونس .

وفى تاريخ الدولة العثمانية الكثير من الدروس سواء أكان ذلك فى مجال الحرب أو مجال السلم . لقد توالى على عرش الدولة العثمانية ستة وثلاثون سلطانا كان منهم

١- تم الرجوع إلى : محمد الطائى ، سلسلة ... ، دار القلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١ - ٢٢

من لا يأتى الدهر بمثلهم إلا على فترات من الزمن ، وكان منهم بين بين ، كما كان منهم من لا يصلح مطلقا لتولى هذا المنصب الخطير الذى وصل إليه عن طريق الوراثة مما ساعد على هدم هذه الدولة ودك أركانها .

وسيلاحظ القارئ لهذا الكتاب انه يحوى العديد من البحوث والدراسات العلمية لبعض القضايا والمشكلات التى لازمت تاريخ الدولة العثمانية ليس خلال فترة قوتها فحسب بل وخلال فترات ضعفها أيضا .

فقد شملت هذه الدراسة موضوعات متعددة بدأت بفتح القسطنطينية على يد محمد الثانى فى عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م وتطرقت إلى موقف الدولة العثمانية من سقوط الأندلس .

وإلى الانكشارية ودورهم فى الفتوحات التى قامت بها الدولة حتى تم القضاء عليهم بعد أن دب الضعف والفساد فى نظامهم . كما تطرقت إلى الفتح العثمانى للعالم العربى والحركات الانفصالية ضد الدولة العثمانية ، وتناولت السلطان عبد الحميد الثانى ودعوته إلى فكرة الجامعة الإسلامية حتى تم اسقاطه واستيلاء جماعة الاتحاد والترقى على الحكم ثم قيام الحرب العالمية الأولى .

وتأتى البحوث إلى نهايتها مع دراسة نقدية بعنوان "الدولة العثمانية ما لها وما عليها" أوضحنا فيها المناقب والمآخذ التى أخذت على العثمانيين بشكل يتمشى مع منهاج البحث التاريخى .

والله ولـــى التـــوفـيـــق ..

أ. د. عبد المنعم الجميعى
القاهرة – مدينة المهندسين
أغسطس ١٩٩٥